لمحات عن الاستعمار الغربي والإيطالي في المغرب العربي

لمحات عن الاستعمار الغربي والإيطالي في المغرب العربي

لن أُتعِبَ القارئ وأُثقِلَ عليه في سرد الكثير من المجازر التي تُشابه المجازر التي ذكرناها فيما تقدّم ، ولكن يجب أن يعلم كل إنسان عربي ومسلم أنّ وطنه مُستهدفٌ ، وأنّ هذه القوىٰ الغاشمة إذا تمكّنت من وطنه؛ فسوف تُحدِثُ في وطنه ما أحدثتهُ سابقاً وما تُحدِثه في المناطق الإسلامية التي وقعت تحت سيطرتها في أيامنا هذه ، لقد دخل المُحتلّ الفرنسي فاحتلّ الجزائر والمغرب وتونس ، ودخل المُحتلّ الإيطالي فاحتلّ ليبيا ، ومارسوا السياسات من النازية والسادية التي يندىٰ لها جبين (هتلر) ذاته ، واتّبعوا سياسة الأرض المحروقة ، واغتصبوا النساء ، ودمّروا البلدان ، ودنّسوا المقدّسات ، وأجاعوا

الشعوب ، وأحرقوا الكتب ، ومنعوا الثقافة ، وحاربوا الدين والعقيدة ، وصادروا الأراضي ، وأغلقوا المصانع ، وحوّلوا الشعوب العربية إلى قطعان من العبيد يحلمون أن ينالوا نصف رغيف في يومهم كي لا يموتوا جوعاً ، ولا يخفىٰ الخيرُ الغزير الذي حباه اللهُ للعرب سواء في ثروتهم الزراعية أو ثروتهم الحيوانية ، أو إمكانيّاتهم الصناعية ، أو المعادن والطاقة التي غرسها اللهُ في أراضيهم ، لقد تخلّى العرب المسلمون عن عقيدتهم ، ونتيجة هذا التخلّي وذلك التراجع أخذ الغرب يرتفع ونحن نسقط ، وما يزالُ يرتفع وما زلنا نسقط ، إلى أن امتُهنّا إلى أبعد درجات الامتهان ، فداسوا حريتنا بنعالهم ، واحتلّوا أوطاننا ، وأهانوا مُقدّساتنا ، وسلبونا مالنا ، يقول (هنري كلود) في كتابه «الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي» : لقد كان هناك في عام ١٩٤٤ (٦٠٠,٠٠٠) أسرة جزائرية تُعاني من الجوع والفقر المُدقع ، ولا سيّما بعد أن صادرت الحكومة الفرنسية الكثير من الأراضي الزراعية ، وشرّدت العمّال ، وأدخلت الآلات الصناعية[١] .

---

(١) هنري كلود: الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي: ص ٤٩ .

وأضاف بأنه في عام ١٩٥٤ وأثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر كانت ١,٣٠٠,٠٠٠ عائلة تعمل في الزراعة ، وبلغ حدّ الفقر المُدقع حوالي مليون من هذه العائلات نتيجة سياسات المستعمر في تفقير الشعب.

وأضاف هنري قائلاً:

ـ (في إفريقية الشمالية هذه التي كانت في العهود القديمة سلّة غذائية لرومة نرىٰ المجاعة منتشرة بصورة مُزمنة ، والسكان الذين يعيشون خصوصاً على الحبوب ، كما يقول الأستاذ (لويس شيفالييه) لا يتصرّف الواحد منهم إلاّ بـ ٢٠٠ كيلو يتغذّىٰ بها ، بدلاً من ٢٥٠ كيلو عام ١٩٤٠ و٤٠٠ كيلو عام ١٩٠٠ و٥٠٠ كيلو عام ١٨٧٠[١].. ولقد تدنّىٰ قطيع الأغنام عند الفلاّحين المسلمين من ٨,٢١٨,٠٠٠ رأس في السنين العشرة التي سبقت عام ١٩١٤ إلى ٨,٨٣٧,٠٠٠ بصورة وسطية خلال الأعوام العشرة الأخيرة)[٢].

وأما إذا نظرت إلى الحالة في تونس فترىٰ أنّ هناك

---

(١) لويس شيفالييه: المشكلة الديموغرافية في إفريقية الشمالية.

(٢) هنري كلود: الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، ص ٥٠.

٢٠٠,٠٠٠ تونسي يعيشون حول العاصمة التونسية يُعانون من فقرٍ مُخيفٍ ، فقد تحوّلت أجسامهم إلى هياكل عظمية ولكنها هياكل مُتحرّكة تجري فيها الدماء ، الدماء التي تُعاني من جميع أنواع الفقر!!

وأما في جنوب تونس فإنّ الفرد لا يُحصّل ٢٠ فرنك يومياً ، وهو مبلغ لا يستطيع أن يشتري به ثلاثة أرغفة من الخبز ، ونتيجة الجوع الفاحش ثار المواطنون ثورة الجائعين ، فخرجوا إلى أحد الأسواق في (طبربا) وذلكَ في عام ١٩٥٥ فأخذوا ينهبون أكياس الحبوب ، وأخذت أفواج الناسِ تهاجم مراكز الخبز والأفران لتحصل على أرغفتها غصباً ، أقول هنا: اعلم يا أخي الشاب الذي قد تمسّحت بمسوح الغرب وقدّستهم في المصير الذي يقودك الغرب إلى الوصول إليه ، ولتعلم أن عام ١٩٥٥ الذي قامت فيه ثورة الجائعين في تونس العربية ، كانت فرنسا تُعاني من زيادة في إنتاج القمح ، وأقدمت على حرق كميّات كبيرة من القمح في سبيل المحافظة على سعره[١]!!

---

(١) المرجع السابق.

ولقد أخذ الأطباء يكتبون عن ظاهرة غريبة يُلاحظونها في المغرب العربي وهي أنّ الأطفال يأكلون التراب!! وكانوا يُصابون نتيجة لذلك بأمراض كثيرة منها فقر الدم وتضخّم الطحال ، فلتعلم أنّ الأوربيين يسعون إلى أن تعود إليك هذه الأزمان فتنكبّ على ركبتيك منحنياً لتلعقَ التراب بلسانك ، ولا أستطيع أن أُشبّهك بالبهائم لأنّ البهائم لا تلعق التراب بل تأكل الكلأ والعشب ، فإنهم حوّلوا المجتمع المغربي في عام ١٩٥٥ إلى مجتمع يُعاني من الجوع والقهر إلى درجة أنّ الأطفال يلعقون التراب ، ليدفعوا ألم الجوع عن أنفسهم[١] ، وفي ظلّ هذا الواقع كانت الدول الأوربية ولا سيّما إيطاليا تُرسل بعثات تبشيريّة؛ لتُخرج الناس من العقيدة الإسلامية إلى العقيدة النصرانية ، مستغلّة الجوع الذي يُعاني منه هؤلاء الناس بالإضافة إلى قوّة المستعمر ، وبُعد الناس عن الوعي الإسلامي والثقافة الدينية ، وبدأت هذه الحملات تنشط في عام ١٨٨٩ حيث أُسست مدرستان في ليبيا للأطفال بقصد التبشير ، وقد ادّعوا عندما جاؤوا إلى هذه البلاد

---

(١) المرجع السابق.

أنهم يسعون إلى نشر المدنية الأوربية دون المساس بالعقيدة الإسلامية التي يعتنقها أبناء هذه البلاد ، فأخذوا يبحثون عن الأيتام ويُؤسِّسونَ لهم ملاجئ خاصّة ، ويُنشؤونهم على النصرانية ، بل يستقطبون أبناء الفقراء من أجل ذلكَ ، وأخذ الرهابنة يجوبون القرىٰ ، ويبحثون عن هذه الفئات لضمّها إلى تلك المدارس والملاجئ ، وأسّسوا الكثير مع المدارس التي تسعىٰ إلى هذه الغاية ، لأنّ التأثير على الأطفال والشباب أيسر من التأثير على الكبار والناضجين[1] .

مع العلم أن الديانة المسيحية السمحاء النبيلة تتعارض مع سياسة تجويع الشعوب ، ولم يتوقف دور البعثات عند هذا الحدّ ، بل أخذ يتحوّل تدريجياً ليكون أداة ضغط على صانعي القرار السياسي في إيطاليا؛ وذلكَ عندما أشاع المبشّرون أنّ العثمانيين أناس مُتعصّبون ولا يحترمون الديانات الأخرىٰ ، وادّعوا بأنّ بعثاتهم التبشيرية تتعرض للأذىٰ من قبل السلطات العثمانية في ولاية (طرابلس) ، ثم اتّخذوا من مقتل الأبّ (جوسيتونه) بمدينة (درنة) ثم

---

(١) الغزو الإيطالي لليبيا: عبد المنصف حافظ البوري ص ١٥٠ .

انتحار الأبّ (فاستونه يتريني) في منطقة تقع بين مدينتي طرابلس والخمس وسيلة لتضخيم فكرة الاضطهاد الديني ، ودعوة حكومتهم إلى شنّ حرب دينية ضدّ الإمبراطورية العثمانية لتخليصهم من الظلم ، وقد تأكّدت هذه الروح المفعمة بالتعصّب الصليبي فيما بعد في النشيد الذي كان يُردّده الجنود الغزاة قائلين :

(أمّاه صلي لا تبكي . . أمّاه بل اضحكي وتأمّلي . . ألا تعلمين أنّ إيطاليا تدعوني وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحاً مسروراً لأبذل دمي في سبيل سحق الأمّة الملعونة . . . لأُحارب الديانة الإسلامية . . . سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن . . ليس للمجد من لم يمت لإيطاليا . . . تحمّسي أيتها الوالدة . . . وإن سألكِ أحد عن عدمِ حدادك عليّ فأجيبيه أنه مات في سبيلِ محاربة الإسلام)[1] .

ومن خلالِ هذا النشيد الوطني الذي كان الإيطاليّون يتغنّون به يتبيّن لكَ ـ وبشكل واضح ـ مُراد هؤلاء من الأمة الإسلامية وكتابها المُقدّس وهو القرآن الكريم ، ولكنّ هؤلاء الناس يُحاربون الله عزّ وجل ، ومن الاستحالة ثم

---

(١) الغزو الإيطالي لليبيا لمؤلفه عبد المنصف حافظ البوري .

الاستحالة أن ينتصر العبيد على الله عزّ وجل ، وأقول بشكل واضح ودامغ: إذا تخلّت الأمة العربية عن حمل راية الإسلام والدفاع عن القرآن الكريم فسوف يستبدل الله هذه الأمة بأمة أخرىٰ قادرة على حمل هذه الرسالة الشريفة ، التي لا يرتقي بحملها إلاّ الشرفاء المجاهدون الصادقون ، قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾[1].

* * *

(١) محمد: ٣٨.

المحتوى

المحتوى

مقدمة ٥
ماذا يريد الغرب من العالم الإسلامي ٩
نماذج من التدمير العقائدي ٩
نموذج آخر لتحطم العقيدة ١٧
الهدف الثاني للغرب في بلاد الإسلام ٣٣
بعض ممارساتهم اللاإنسانية ٣٣
الصليبيون في القدس ٤٣
مجازر الأوربيين الصرب في مسلمي البوسنة والهرسك .. ٤٥
مسلمو كشمير ٦٣
روسيا ومسلمو القوقاز ٨٥
مجزرة ساماشكي ١٠٥
حرق غويسكري ١١١
لمحات عن الاستعمار الغربي والإيطالي في المغرب
العربي ١٢٥
المحتوى ١٣٦